

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَبَجِيلًا، وَجَعَلَ فَرَضَهُ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَازَ مَنْ ذَكَرَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبَّحَهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، حَيْرٌ مَنِ اعْتَمَرَ وَحَجَّ الْبَيْتَ، وَالْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِعْلًا وَقِيلًا، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١).

أَمَّا بَعْدُ،

فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَالنَّجْوَى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى﴾ (٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ غَايَةُ الْخُضُوعِ لِلَّهِ، فَيَتَلَقَّى الْمُؤْمِنُ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَنَفْسُهُ فِي غَايَةِ الْإِطْمِئْنَانِ، وَيُنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ اللَّهُ مُسْتَقْوِيًا بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ؛ فَاسْتَجَابَتْهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ عُبُودِيَّةً تَامَّةً، وَأَنْتَهَاؤُهُ عَمَّا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ عُبُودِيَّةً تَامَّةً، وَذَلِكَ هُوَ الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ، تَتَجَلَّى فِيهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الَّتِي ذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣)، وَمَتَى كَانَ كَيْسٌ فَطِنٌ يَعْتَقِدُ أَنَّ اخْتِيَارَهُ أَوْلَى مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ أَمْرٍ!

وَمَا لَنَا - عِبَادَ اللَّهِ - لَا نَقِفُ وَفَقَّةَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا عَلَى قَوْلِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صِفَةِ عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(١) سورة النساء/ ٨١
(٢) سورة الأحزاب/ ٣٦
(٣) سورة البقرة/ ١٩٧.



ءَايَتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ ، وَلَنَنْظُرَ كَيْفَ أَنْ اسْتِقَامَةَ الْبَاطِنِ كَانَتْ سَبَبًا فِي اسْتِقَامَةِ الظَّاهِرِ ، فَمِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ إِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ ، إِلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ، وَقَدْ تَجَاوَزَ نَفْعُهُمْ أَنْفُسَهُمْ إِلَى نَفْعِ النَّاسِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ﴿٢﴾ فَضَلًّا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ .

وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ اسْتِجَابَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لِنِدَاءِ رَبِّهِمُ الَّذِي أَدْنَىٰ بِهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) ، فَيَقْصِدُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ وَنُفُوسُهُمْ مُتَشَوِّقَةٌ إِلَىٰ ذَلِكَ اللَّقَاءِ ، كَمَا كَانَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمَ مِيقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (٤) ، وَكَانَ الْحَجُّ مَجِيءً كَمَجِيءِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمِيقَاتِ .

بَلْ هُوَ - أَهْلُ الْإِيمَانِ - مَجِيءٌ إِلَى مَكَانٍ ظَاهِرٍ فِي الْمِيقَاتِ الْمَعْلُومِ؛ فَيُؤَدِّي الْإِنْسَانُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفِعْلِيَّةَ مُتَجَرِّدًا لِلَّهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَدْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ ، وَتَرَكَ الْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْأَوْلَادَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَلْبُهُ إِلَى تِلْكَ الْعَرَصَاتِ الطَّاهِرَةِ ، وَسَافَرَتْ رُوحُهُ قَبْلَ أَنْ يُسَافِرَ؛ شَوْقًا إِلَى الْمُنَاجَاةِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، قَدْ حَمَلَ مَعَهُ مَطْلُوبَاتِهِ رَاجِيًا الْإِجَابَةَ ، وَتَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ أَوْزَارِهِ طَامِعًا فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، وَالزَّائِرُ هُوَ الْمَخْلُوقُ ، وَالْمَرْزُورُ هُوَ الْخَالِقُ ((وَحَقٌّ عَلَى الْمَرْزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ)) ، وَلَمَّا كَانَ الْمَسْئُولُ هُوَ الْعَظِيمُ كَانَ جَزَاءُ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ عَظِيمًا ، وَمِنْ بَشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِحُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ قَوْلُهُ: ((وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)) .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

(١) سورة الأنفال / ٢ - ٤ .
(٢) سورة الحجرات / ٨ .
(٣) سورة الحج / ٢٧ .
(٤) سورة الأعراف / ١٤٢ .



الرَّحِيمِ، وَاذْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّهُ
الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَعَلِّمُوا أَنَّ الْحَجَّ الَّذِي يَكُونُ جَزَاؤُهُ الْجَنَّةَ هُوَ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ،
وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ، فَاسْمَعُوا قَوْلَ
رَبِّكُمْ وَعُوا: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي
الْحَجِّ ﴾^(١)، وَالرَّفَثُ تَرْكُ الْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ كَذِبٍ، وَزُورٍ وَغَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَقَذْفٍ وَبُهْتَانٍ،
وَتَخْلِيصُ النَّفْسِ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ، مُسْتَشْعِرًا الْمُؤْمِنِ قَوْلَ رَبِّهِ: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَمِيدٌ ﴾^(٢)، وَأَنْظُرُوا فِي وَصْفِ ذَلِكَ الرَّقِيبِ بِالْعَتِيدِ؛ فَإِنَّ الْعَتِيدَ هُوَ الْحَاضِرُ الَّذِي لَا يَعْغُلُ
عَمَّنْ يُرَاقِبُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَالْفُسُوقُ كُلُّ مَا فِي فِعْلِهِ إِثْمٌ مِنَ الْعَمَلِ، وَتِلْكَ هِيَ الْمَعَاصِي الَّتِي
تُورِدُ صَاحِبَهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ ((وَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)).

وَلَا يَقِفُ أَثْرُ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ بِصَاحِبِهِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ إِنْ أَثَرَهُ يَظْهَرُ فِي سُلُوكِ الْمُؤْمِنِ؛
فَيَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ بَعِيدًا عَنِ الْجِدَالِ، وَالْجِدَالِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ مُشَاتَمَةٌ
وَمُعَاضَبَةٌ، وَالْمُؤْمِنُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ السَّبَابِ، فَإِذَا مَسَّهُ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرَ فَإِذَا هُوَ
مُبْصِرٌ، وَتَرَكَ هَذِهِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةَ لَهُ أَكْبَرُ أَثَرٍ عَلَى صِلَاحِ الْقَلْبِ وَعَسَلِهِ بِمَاءِ النُّقْوَى، بَلْ
تِلْكَ هِيَ النُّقْوَى؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَتَكَرَّرُوا فِيكَ خَيْرَ الزَّادِ النُّقْوَى وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى
الْأَلْبَابِ ﴾^(٣)، وَمَنْ حَجَّ هَذَا الْحَجَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْحَسَنَةِ رُجِيَ لَهُ أَنْ يُفُوزَ بِبِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ
فِي قَوْلِهِ: ((مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرِفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)).

(١) سورة البقرة/ ١٩٧ .
(٢) سورة ق/ ١٨ .
(٣) سورة البقرة/ ١٩٧ .



هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانْحَسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاجْتَنِبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ أَلَّا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُعْظِمُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

